(٢) من عرف بكنيته ولم يعرف له اسم كأبي مويهبة مولى النبي صلوات الله عليه
(٣) من لقب بكنيته وله غيرها اسم وكنية كأبي تراب علي رضي الله عنه اسماوابي الحسن كنية
(٤) من له كنيتان او اكثر كمنصور الفراوي ابي بكر وابي الفتح وابي القاسم
(٥) من اختلف في كنيته كأسامة رضي الله عنه ابي زيد وقيل ابو محمد وقيل غيرهما
(٦) من عرفت كنيته واختلف في اسمه كأبي بصرة قيل هو حميل (بالحاء مصغرا) وقيل جميل (بالجيم مكبرًا) وكأبي هريرة قال القطب الحلبي اجتمع في اسمه واسم ابيه نحو اربعين قولاً واصحها عبدالرحمن بن صخر
(٧) من اختلف فيهما كسفينة مولى النبي صلى الله عليه وسلم حكي في اسمه وكنيته اثنان وعشرون قولاً
(٨) من عرف بالاثنين كأبي عبدالله سفيان الثوري ونحوه مما لم يختلف فيهما
(٩) من اشتهر بها مع العلم باسمه كأبي ادريس الخولاني عائذ الله

دمشق احد قراء المقتبس

تاثير العقائد والمقاصد في الاخلاق

ان العلماء الذين وضعوا الكتب المطولة والمختصرة في تهذيب الاخلاق لم ينظروا الى هذا البحث الدقيق الا من عرض فلا يعثر لهم على كلام يكشف القناع عن حقيقته ويجمع اطرافه وانما ذلك لان الحوادث والاحوال لم تتجه بهم الى الدخول من هذا الباب ولقد رأيت العصر يستصرخ الحراص على انتظام الاحوال وبتقاضى الكتاب القائمين على هداية الناشئة الى سبيل النهضة الادبية ان يقبلوا عليه اقبال المغرم بالدنيا على استخراج الكنوز المدفونة وان يبذلوا الجهد في اظهار ماخفي من اسراره ويستنفدوا الوسع في اباحة ماحجب من ذخائره

ولما رأيت ان الكلام فيه من جلائل الخدم التي يسع المشيء ان يقوم بها لاهل العصر هزني الغرام بهذه المحمدة ان اتوفر ليلة على انشاء مقالة اكلف المقتبس ان يحملها الى قرائه المنبثين في الآفاق مع ما يحمل اليهم من ازاهره العاطرة وثماره الطيبة الناضجة آملاً ان تلاقي عند الشبان الادباء والناشئة النجباء ما يلاقي الزائر الكريم من الهشاشة واكرام الوفادة في منازل الكرام وبيوت الكبراء وذلك بان يكرموها بالمطالعة وتدقيق النظر فيما يترتب عليها من النتائج المفيدة بل من الادوية الناجعة في شفاء ادواء الاخلاق اذا اندفعت النفوس لاتباعها واحبت الجري عليها .

تعريف الخلق

الخلق بضم فسكون والخليقة والفطرة والطبع والطبيعة والغريزة وما هو في معناها صفة باطنية تشبه الصورة الظاهرة فالكرم الذي طبعت عليه نفس زيد خلق يشبه ما ترى من الجمال في محياه والشجاعة التي فطرت عليها نفس عمرو بمنزلة ما ترى من طول قامته وامتلاء اعضائه . وقد اختلف اصحاب الحكمة الخلقية في قبول الاخلاق للتغيير فمن قائل ان الاخلاق لا تقبل التغيير الا متى صار الذئب حملاً والجمل يرغوثاً ودليلهم ان الخلق الباطن مثل الصورة الظاهرة وهذه لا تقبل التغيير فهو كذلك لا يقبل التغيير ومن قائل ان الاخلاق تقبل التغيير فمن طبع على الشح تصيره بعض الاحوال اكرم من حاتم ومن فطر على الجبن فقد يقوم في خياله ما يحبب اليه الموت حتى ان الصورة الظاهرة في الانسان تتغير تبعاً لحالة النفس كما يرى في وجه الغضوب والمنفعل والمسرور والكمد والخائف والمطمئن والخالي القلب والمهموم والا فأين هيئة من يتوقع العزل عن منصب عال من هيئة من يبشر بالارتقاء اليه واين صورة من يرزأ ظهيره من صورة من يلقى نصيره وهل من فرّ من بيته وقد تداعت جدرانه كمن دخل صرحه وقد كمل تشييده وتزويقه فاذا علمت ذلك تبينت ان الرأي انما هو رأي القائل بقبول الاخلاق للتغيير والا فمن اين تعلم الدب الرقص واي فائدة للشرائع ان لم تحدث تغييراً في الطبائع وتبدلاً في الغرائز .

فان كنت تريد ان تتعرف تصاريف الطبائع واحوالها فلا بدّ لك من امرين الاول ان تراقب ذلك في الناس وفي نفسك . والثاني ان تنظر الى ما يولده اختلاف العقائد وتبدل المقاصد في النفس البشرية حتى ينقلب الراغب زاهداً والزاهد راغباً والشجاع جباناً والجبان شجاعاً .

تأثير العقائد

العقائد مبادىء تقرر في ذهن صاحبها انه يسعد بطاعتها ويشقى بعصيانها وانه يهلك اذا خالفها وينجو ان اتبعها وترسم على لوح قلبه أن حفظها يكفل له خاتمة سعيدة وآخرة حميدة وان نبذها يدفعه الى عاقبة شؤم ونهاية عذاب فهذه العقائد باطلها وحقها سواء من حيث التأثير في نفس المعتقد فمن استحكمت العقيدة في روحه هان عليه كل عزيز وغالٍ في سبيلها فتحلو له المرائر وتطيب له المكاره حتى اذا دعته الى فراق الحياة لبى دعاءها فهذه اقاصيص الشهداء واحاديث الاولياء تبسط امامك من آثار العقائد الحية في الصدور ما تريك افانينه ان الاهواء البشرية امام خواضع طوائع لملك الاعتقاد المتسلط على النفس وكم لك في سير الرسل الكرام من خطيب صدع بان لا سطوة في الكون على النفس الا دون سطوة العقائد . واذا ذكرت القوم الذين كانوا يجيزون بثيب في النار اكراماً لتمثال مولوك

الذي اتخذوه معبوداً يلجأون اليه . والجنود الاولى يرمون باولادهم في النهر . او اخطرت على بالك الشيوخ والعجائز الذين يأتون من اقاصي الارض الى اورشليم تبركاً بزيارة قبر المسيح غير مبالين بما يقاسون من مشاق السفر ومكاره الغربة مع ما يستلزمه بعد الشقة من وفرة النفقة قطعت ان لا سبيل لانفس البشرية الا وسيادته دون سيادة الاعتقاد .

تأثير المقاصد

واذا راقبت الناس عوامهم وخواصهم رأيتهم الا قليلاً منهم يجورون على عقولهم ويغالطون حسهم ويكذبون عيونهم في سبيل مقاصد تحيك في نفوسهم فاذا كلفت انفسهم بشيء او مقتته يخال من يسمع كلامهم فيه انهم قد فارقوا البابهم او ان البابهم قد فارقتهم فان احب احدهم بلدة جعل الحسن مقصوراً عليها وقال سعادة الحياة لا تعرف الا تحت جوها والتنزه لا يطيب الا في كرومها وبساتينها وان ألم الظماء لا يتقى الا بورد مائها وان كرم الخلال لا يتعدى سكانها والتبحر في العلم لم يعهد الا لعلمائها وان الفصاحة لم تظهر بدائعها ولم تبدُ روائعها الا على السنة خطبائها وشعرائها وان رئاسة الصنائع قد انتهت اليها وان الجود لم يضرب خيامهُ الا في أرضها وبالجملة فانها المخصوصة من بين بلاد الله كلها بانها مجتمع المحاسن الطبيعية والصناعية وانها الحرية بان تستبد بمجد التفوق على كل بلدة في الارض واذا كره بلدة قال نسيمها يحمل نسم الامراض (١) وثمارها تورث الاسقام وحرها يذيب الاجسام واهلها خبثاء لئام وعلماؤها اقل من صغار الطلاب علماً وخطباؤها اقل الناس عقلاً واضعفهم تصوُّراً ليس لهم من مقتضيات الخطابة الا الجراءة على الكلام في المحافل فاذا سمع ذو لب من خطبهم اشتهى الصمم واحب البكم وتعجب ممن يبيع الخرز بسعر الدرر وينادي على النحاس كما ينادي على الذهب بل استغرب امر من يعرض القطن ويقول هذا حرير ثم يشتري منهُ القطن حريراً والنحاس ذهباً .

واعلم ان تساوي البلدتين هواء وماء وادباً وعلماً وتجارةً وزراعةً عند جميع الناس لا يردهُ عن قصر المحاسن عليها دون الاخرى اذا كان لهُ من وراء مدحها غاية كما لا يردعه عن سلب كل حسن عن البلدة الأُخرى وهكذا يفعل بهم الكلف والمقت في سائر الاشياء وانك لترى اثر هذا الامر في تلاميذ المدارس فقد يقوى قصد احدهم تارة فتشتد رغبته ويكثر تحصيله وقد يضعف تارة فتضعف رغبته في الطلب ويقل تحصيله وقد نرى في الطلبة من رسخ في نفسه فضل العلم فذلك لا يعتريه في طلبه ملل ولا يا خذه ضجر ولا يستطيل زمان التحصيل وان طال ويحسب الكتب مغاوص اللؤلؤ ومعادن الذهب .

(١) اراد بنسم الامراض المكروبات .

الخلاصة

فصارى القول ان من اراد جعل الناس على محمدة فلا سبيل له ان يزرع في نفوسهم بزور الانتفاع بها واكتساب الفائدة بتحصيلها حتى اذا تمكن تصوُّر ذلك في اذهانهم اقبلوا عليها اقبال الناس لهذا العهد على ما يجدُّ من الازياء (المودة) وعلى سبيل الاستطراد اقول ان من اراد الاقتدار على الترغيب وبلوغ الارب فليقف آثار مخترعي الازياء فهؤلاء هم أئمته العظام وشرّاحه الكرام وكل ما في كتب الخطباء من التنبيهات لا يعدل بجزء مما يجري على السنتهم او يصوَّر في دفاتر ازيائهم فهؤلاء قد عرفوا الطباع البشرية وخبروا الاهواء الانسانية وقبضوا على مفاتيح القلوب وعرفوا طرق الوصول الى امتلاكها فمثلهم مثل واعظ كلف ان ينهى النساء عن اتيان المعابد بالزينة والروائح الطيبة فقال قد شكا الي واعظ البلدة انكن تأتين المعبد متطيبات وعلى رؤوسكن انواع الزينة وانه طال ما نهى عن ذلك فزادكن النهي تمادياً في الامر فاجبنه ان لا حق لك في ذلك . فتعجب واستغرب وقال ما السبب قلت الا وان الادب يقضي على كل من تعلم ان رائحة فمها خبيثة ان تتعطر وتتزين حتى لا تؤذي جاراتها فما سمعت النساء هذا الكلام حتى دققت كل واحدة تنزل ما على رأسها من انواع الزينة حذر ان يظن ان رائحة فمها خبيثة ومن ثم فجرن التزين والتخلق والتعطر واقتصرن على الذهاب الى المعبد بالاثواب النظيفة فقط .

فلو لم يكن هذا الواعظ فطناً ذا علم بما ركب في الطباع لذهب كلامه بلا فائدة كما ذهب كلام واعظ البلدة من قبل .

بيروت سعيد الخوري الشرتوني

الميكروب

الميكروب اصغر ما خلق في عالم الاحياء جرماً وجسماً واعظمها قوّة وفعلاً . كان اولاً يعيش ويتنفس على سطح المعمور منسابا بين بقية المخلوقات دائبه دأب كل حي من ايجاد القوت والمكافحة للحياة والبقاء . ذلك انه لا يترك جامداً يحتوي على بعض ما يصلح لغذائه الاّ ويحاله مبدلاً حاله تبديلاً او يمحوه فيجعله اثراً بعد عين وليس في الارض حيٌّ من حيوان ونبات الاّ وهو يتصدى له منازعاً اياه قوته وحياته . حتى انه في ذلك يخدم بانواع منه عالم الحيوان ويقوم بوظيفة عظيمة الخطر كتحويل المواد الجامدة الى غذاء يعيش به غيره وكاصلاح انفس المأكولات والمشروبات للانسان بواسطة لاختمار وبانواع اخرى منه